الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

قصة أوديب في الآداب المختلفة :

ألقى الدكتور طه حسين بك محاضرة عنوانها « قصة أوديب في الآداب المختلفة » بنادي الخريجين المصري يوم الجمعة الماضي . فبدأ بتلخيص قصة أوديب كما وضعها سوفوكل في أوائل القرن الخامس قبل المسيح ، وحوادث القصة — كما هو معروف — تدور حول أوديب ابن الملك لايوس ملك طيبة ، وصراعه مع الأقدار التي قضت بأن ينشأ بعيداً عن والديه ، ثم تسوقه إلى حيث يقتل أباه وهو لا يعلم بأنه أبوه ، ثم يتزوج أمه وهو لا يعلم أنها أمه ، ويولد له منها أربعة أولاد ، ثم يعلم أن أولاده هم إخوته لأمه ... الخ

ثم قال الدكتور طه : إن سوفوكل صور في هذه القصة الصراع بين القضاء المحتوم والإرادة الإنسانية المختارة ، وبين ذلك في مواقف القصة المختلفة . وقال إن الأسطورة كتبها كثيرون في القديم وفي الحديث ، حتى لم تخل منها لغة من اللغات الحية في العالم الغربي ، وقد أتيح للعربية أن تشارك في هذه الجهود ، فترجمتْ (الدكتور طه) إليها قصة سوفوكل وقصة أندريه جيد . وجاء أخيراً الأستاذ توفيق الحكيم فكتبها بالعربية . وأنا سأقصر الحديث على قصتين هما قصة جان كوكتو وقصة أندريه جيد ، وقد وضعتا في وقت واحد تقريباً حوالي سنة ١٩٣٠ .

ثم حلل قصة جان كوكتو وقال إنه جنح فيها إلى الفن ولم يعن بالفكرة الفلسفية ، فقد صور جوكاستا (أم أوديب) امرأة مرحة ماجنة تعشق الكاهن ترسياس وتتغزل فيه ، وقد أهمل جان كوكتو الفكرة الفلسفية القديمة في القصة واتجه نحو فلسفة فرويد فيما يكون من الأحاسيس الخفية بين الأمهات والأبناء . وانتقل الدكتور بعد ذلك إلى قصة أندريه جيد فقال إنه أمضى القصة كما أمضاها سوفوكل ولكنه جعل أولاد أوديب من شباب العصر الحديث يندفعون إلى التجديد في كل شيء ، وجعل الصراع بين الدين ممثلا في الكاهن ترسياس وبين أوديب الملك الذي لا يؤمن إلا بنفسه وعقله وشعوره ووجدانه .

ثم قال إنه يفضل قصة أندريه على قصة جان جوكتو ، ويفضل على الاثنتين قصة سوفوكل .

وبعد ذلك وصل الدكتور طه إلى الأستاذ توفيق الحكيم فقال إنه يسره أن يحاول الأستاذ توفيق هذه المحاولة ، ولكنه لم يتخذ لها ما كان ينبغي أن يتخذه من عدة ، وأول ما كان ينبغي أن يتخذه من عدة أن يقرأ وأن يقرأ كثيراً ، على رغم ما يحدثنا به من أنه قبل أن يكتب القصة قرأ في الأدب اليوناني كثيراً ، فإنا نرى أن هذه القراءة متواضعة ومتواضعة جداً ... ثم ذكر الدكتور بعض المآخذ في قصة الحكيم ، منها أنه جعل أوديب يقتل الأسد بهراوة في يده ثم يحمله على ظهره ويلقيه في البحر ، ولو فرضنا أنه من الممكن أن يقتل الرجل الأسد بهراوة ويحمله على ظهره فأي بحر هذا الذي ألقاه فيه ؟ إن الإنسان يسير بين طيبة وبين البحر يوماً كاملا دون أن يحمل أسداً على ظهره . أكبر الظن أن توفيق الحكيم لم ير الخريطة ، ولعله قد اشتبهت عليه قرية صغيرة قريبة من البحر اسمها طيبة وهي غير طيبة التي وقعت فيها أحداث القصة .

ومن تلك المآخذ مأخذ قال إنه أفسد القصة من الناحية الفنية إفساداً ليس بعده إفساد ، ذلك أنه صور ترسياس في صورة المتآمر الذي يتنزل إلى ما يجري عليه الناس من أنواع الدسائس والشرور ، ثم مأخذ قال إنه أفسد الناحية الفلسفية بأن جعل أوديب يطلب إلى زوجته وأمه جوكاستا أن تصرف النظر عما حدث ، ليعيشا مع أولادهما مكتفين بالثقة من طيبة ، وهذا لا يتفق مع غاية القصة من الشعور بالإثم ، ومن حسن الحظ أن جوكاستا ماتت ولم تقبل ذلك .

ثم قال إن توفيق الحكيم لم ينس أنه كان عضواً في النيابة العمومية ، فقد خلط الحوادث خلطاً عجيباً عند ما حكم على الكاهن وترسياس بأن يختارا بين الموت والنفي ثم وقفهما أمام الشعب ليحاكمهما .

وخرج الدكتور طه من الكلام على قصة توفيق الحكيم بأنها جمعت بين قصور جان كوكتو في الناحية الفلسفية وبين قصور أندريه جيد في الناحية الفنية .

ثم تحدث الدكتور عن المقدمة التي كتبها الأستاذ توفيق الحكيم لقصته فقال إن أقل ما يقال فيها إنها كانت تحتاج إلى عناية ، فقد كتب صفحات في الجواب عن هذا السؤال : لماذا لم ينقل العرب التمثيلية اليونانية ؟ وذكر أن امرأ القيس ذهب إلى قسطنطينية — وأنا لا أعرف أن امرأ القيس ذهب إلى قسطنطينية — فلماذا لم يعد من هناك بشيء من هذا الفن ؟ وراح الأستاذ توفيق يسهب في ذكر أسباب وفروض كثيرة ، وما كان أغناه عن هذا كله لو علم أن العرب لم ينقلوا التمثيل عن اليونان لسبب واحد بسيط ، هو أن اليونان لم يكن عندهم تمثيل في عهد العرب لأن المسيحية كانت قد قضت عليه ، ولو ذهب امرؤ القيس إلى هناك لما وجد تمثيلا . . .

ثم ختم المحاضرة بقوله : وأنا على كل حال أهنئ الأستاذ توفيق الحكيم بهذا الجهد ، وأقول إننا يجب أن نبدأ ولو بخطئين لننتهي مصيبين .

كشكول الأسبوع

□ وافق المجمع اللغوي على ما رأته لجنة الأدب من تنويه بمجموعة شعر المرحوم الأستاذ عبد المحسن الكاظمي تقديراً لتركته الشعرية الرفيعة ، وإنفاق المبلغ المرصد للمسابقات الأدبية لسنة ١٩٤٨ — ٤٩ في إحياء كتابين هما ، سر صناعة الإعراب لابن جني ، وأنيس الجليس لزكريا بن الماني . وذلك بعد أن رأت أن ما قدم لهذه المسابقات من القصص والشعر والبحوث لم تتوافر فيه درجة الامتياز التي تسوغ لها أن توصي بمنحه الجائزة .

□ يطبع الآن السجل الثقافي لسنة ١٩٤٨ الذي تصدره وزارة المعارف ، ومما يتضمنه إحصاء شامل لما ألقي من المحاضرات العامة في السنة الماضية ، وقد جمعها محاضرة ألقتها « الست أم عبده الاسكندرانية » .

□ نشرت « البلاغ » يوم السبت الماضي صورة فتيات ناعمات فاتنات في وضع راقص ، كتب تحتها « جمعية الشابات المسلمين تقيم حفلة خيرية راقصة » ألا ترى أن عدم التطابق بين الصفة (المسلمين) والموصوف (الشابات) ليس فقط من حيث اللغة بل كذلك من حيث العمل !

□ سمعت كلمة ثانية في مساء يوم من الأسبوع الماضي ، وقد ظهر أنها تغزلت لمل (الميكروفون) من حوار — خارج البرنامج — لمذاعة وقعت بين موظفين في الإذاعة ، وقد اهتم أولو الشأن بذلك وصدر أمر بوقف المذيع عن عمله .

□ كان في برنامج الإذاعة يوم السبت الماضي تمثيلية « بيت يتهدم » شغلت نصف ساعة كلها عويل وبكاء ، حتى خيل للمستمعين أنها إذاعة خارجية من مأتم نساء .

□ قال الأستاذ الناجي في دفاعه عن مطالب أم كلثوم من الإذاعة : « ومرجريت ترومان تتناول عشرة آلاف دولار في الأسبوع مقابل غنائها كل مساء ساعة واحدة في أحد مطاعم نيويورك » وأقول : إن التي يسلى الأجر الكبير للغنية ، هو مطعم يستجلب (الزبائن) بغنائها ، وليست الدولة هي التي تدفع لها ، ومسألة « الإذاعة وأم كلثوم » تختلف عن ذلك ، فهي تتعلق بأموال الدولة .

□ أصدر الأستاذ حسن كامل الصيرفي الطبعة الثانية من كتابه « حافظ وشوقي » الذي ظهرت طبعته الأولى في العام الماضي ، وهو دراسة مقارنة للشاعرين .

□ ظهر أخيراً كتاب « أدب مصر الحديث » للأستاذ مصطفى زيد وقد عرض فيه الأدب الحديث على منهج مدرسي ، وبذل به جهداً ظاهراً في التحليل والنقد وربط الإنتاج ببواعثه .

□ وافقت اللجنة التنفيذية لشؤون السودان بوزارة المعارف على إهداء كتب لمل نوادي السودان . وقد أرسلت في هذا الأسبوع ألفا كتاب من أحدث الكتب لمل مدرسة الملك فاروق الثانوية بالخرطوم لتتولى توزيعها على الأندية والهيئات الثقافية هناك .

تعقيب :

أما وقد تعرض الدكتور طه حسين بالنقد لكتاب « أوديب الملك » للأستاذ توفيق الحكيم ، فقد كان قسطاس النقد المستقيم يقتضيه أن يشير إلى مواطن الإجادة فيه ، ولا يقصر النقد على مواضع المؤاخذة ثم على الثناء والتهنئة الساخرين . . . وأنا لم أقرأ بعد هذا الكتاب ، ولكني لا أتصوره خالياً من شيء يستحق أن يوضع في كفة الحسنات ، فتوفيق الحكيم كاتب معروف بجودة الإنتاج القصصي على العموم مهما كان في هذا الإنتاج من مآخذ ، ويعرف قراء العربية حسن رأي الدكتور طه في بعض ما كتب الحكيم ، فهل هو الآن يسترق النقد بذكر المآخذ في « أوديب الملك » بعد أن فرغ فيما مضى من الإشادة بما أحسن توفيق الحكيم في « أهل الكهف » ؟! وهل لي أن أقول إن الدكتور طه حسين لا يقتصد في التقريظ إذا قرظ ولا يقتصد في التأنيب إذا تأنب ؟ .

الثقافة المصرية بالسودان :

زار السودان منذ أسابيع الدكتور عبد السلام الكردانى بك الوكيل المساعد لوزارة المعارف ، واتصل هناك

بالمشرفين على التعليم فى حكومة السودان ، وبطبيعة الحال كانت المسائل التعليمية والثقافية هى موضوع الاتصالات ؛ وقد استرعى انتباهى من أنباء هذه الرحلة أمران ، الأول رد الكردانى بك على جريدة « النيل » السودانية وكانت قد تناولت مسألة توحيد التعليم فى السودان التى أثارتها الحكومة السودانية فى وجه مشروع التوسع فى التعليم المصرى بالسودان — قال الدكتور الكردانى : « إننى ممن يرون الخير فى تعدد أنواع التعليم والثقافات وأعتقد أننا فى مصر قد كسبنا من وجود مدارس ذات مناهج مختلفة » ثم قال : « إن هناك من يقولون فى الوقت الحاضر بضرورة توحيد الثقافات عند الأمم المتكتلة بتوجيه ثقافاتها وبرامج دراستها وجهة واحدة ، وكذلك ترى الجامعة العربية فيما يختص بالأقطار العربية المشتركة فيها وقد اتخذت خطوات فعلية فى هذا الاتجاه . فهلا ترون أن من مصلحة السودان العزيز وأهله الأعزاء أن يكون لديهم فى بلادهم فريق من أبنائه يسيرون فى دراستهم وفق المنهج الذى يسير عليه أشقاؤه فى مصر الشقيقة الكبرى وأبناء عمومتهم فى بقية البلاد العربية المتحدة المتضامنة سياً وراء خيرها ورفعتها جميعاً ؟ » .

وهذه لفتة بارعة من الدكتور الكردانى ، وإن كان قد صاغها فى قالب من التحفظ ، فالسودان باتفاق جميع السودانيين جزء من البلاد العربية التى تتجه إلى توحيد غايتها الثقافية والتقريب بين برامجها الدراسية ، وتتخذ خطوات مصر وجهودها فى ذلك المضمار محوراً ومثلا لها ، فكل جهد يبذل فى الوقوف أمام انتشار التعليم المصرى بالسودان ليس ضاراً فقط بوحدة الوادى ، وإنما هو يمتد إلى مكان السودان من العروبة ونصيبه من قيمها الثقافية .

أما الأمر الثانى الذى لاحظته فى هذه الزيارة ، فهو أن الكردانى بك أدى مهمته باعتباره رجل تسليم وثقافة على خير ماتؤدى ، وكان عند مايجمل عمله أن يكون ، لقى الجميع وأحسن التفاهم مع الجميع ، فاحتفى به الجميع ، حتى امتدحت جريدة « النيل » وهى لسان الانفصاليين مسلكه فى المناقشة وسعة أفقه . والذى يهمنى من كل ذلك أن أضربه مثلا لرجال التعليم المصرى ورسل الثقافة إلى جنوب الوادى ، ولو أن كل من بعثنا بهم إلى هناك لهذه الغاية كانوا كذلك ، ولم يقحموا أنفسهم فيما ليس من شأنهم ، لتجنبنا كثيراً من الأشواك ، ولما اضطرت حكومتنا إلى ما اضطرت إليه من الحرج فيما يتعلق ببعض مناحى التعليم بالسودان .

عزيزتى السيدة سلمى :

أكتب لك هذا بمناسبة استئنافك العمل فى مسرحك ، بتمثيلية كليوباترا الشوقى بك ، فأهنئك أولا بهذا الافتتاح وأتمنى لك أطيب التمنيات ، ثم أتوكل على الله وأفضى إليك بغاية القصد والمراد ... راجيا أن تتقبلى ما أفضى به تقبلا حسناً وألا يتكدر منه خاطرك .

ذلك يا سيدتى أن صوتك جميل جداً ولكنك تجنين على جماله بتشبثك أن تلحنى لنفسك ، ولا أقول فقط إنك لا توفقين فى التلحين ، وإنما يخيل إلى حينما أسمعك أنك تفتنين غناء فطريا ، وإن سامعك ليأسف على ضياع تلك الآهات والنبرات الحارة الشجية المنبعثة من قلب يشعر، فى الهباء ، تذروها فوضى التنغيم .

ولا شك فى أن عدم توفيقك فى التلحين لا ينقص شيئاً من قيمة مواهبك الأخرى ، فأنت ممثلة مسرح ذات ذخيرة فياضة من حنان الأنوثة ، ومغنية مسرح ممتعة من الطراز الأول ؛ وأعتقد أن صوتك يكون شيئاً آخر لو أسلمت قيادة للحن مقتدر، ونحن فى عصر الاختصاص ، فمن أراد أن يكون كل شىء فلن يكون شيئاً .

والمهم بعد هو أن الميدان الفنى عندنا تنقصه الآن المسرحية الغنائية ، مع أن الجمهور المصرى يعشق هذا اللون من الفن . وأنت الآن — ولا أرى غيرك فى هذه الظروف — التى تستطيع أن تحيى المسرح الغنائى بتقديم روائع التمثيليات من الأدب الرفيع ، كما يدل على ذلك اختيارك لإحدى مسرحيات أمير الشعراء فى افتتاح موسمك الحالى .

فالتلحين ، يا ست ملك ، التلحين ... ولا شىء ينقصك غير التلحين ، فلا تكابرى وكونى ممن يسمع القول فيتبع أحسنه .

ولك تحياتى واحترامى .

عباس خضر